وضع المصطلح العلمي: مفهومه ومقاييسه ومواصفاته

د. الطيب رحماني

جامعة محمد الأول– وجدة(المملكة المغربية)

ملخص البحث:

تسعى المقالة إلى إبراز أهمية المصطلح العلمي باعتباره إحدى الأدوات البحثية التي مازالت في حاجة إلى مزيد من العناية والتدقيق في العالم العربي، والتنبيه إلى العناية التي بات يحظى بها ضمن المعرفة العالمية، والتعريف بمرحلة حساسة من حياته ألا وهي مرحلة الوضع المصطلحي، وهي أول قضية تستوقف الدارس المهتم بهذا الموضوع، وهي القضية المنطلق والأساس، لأنها تتعلق بولادة المصطلح ونشأته، ورصد أهم ما ارتبط بها من أسس عملية منطقية من شأن الحرص عليها أن يحفظ للمصطلح العلمي نشأة سوية... ومن تلك الأسس ما يتعلق بواضع المصطلح، أي المتخصص الذي يسمي ما أبدعه في مجال علمي معين وأهمها ثلاثة: معرفة المفهوم، والقدر اللغوية على إبداع الألفاظ المسمية، والمخيلة التي تعين على الجمع بينهما، ومنها ما يتعلق بالمصطلح الموضوع نفسه لفظا ومفهوما مع ما يتطلبه الجمع بين هذين الطرفين من وجود علاقات ووشائج، كل هذا قصد الإسهام ولو باليسير في جمع الجهود التي من شانها أن تحد من فوضى المصطلح في العالم العربي.

Cet article vise à mettre en évidence l'importance du terme scientifique réputé l'un des outils de recherche, qu'il est nécessaire encore de prendre en charge davantage de manière spécifique au niveau du monde arabe.

Il faut en outre signaler l'importance grandissante qu'on lui accorde au sein du savoir mondial et définir la phase très particulière du processus de sa formation, à savoir la phase de nomination terminologique.

C'est en effet la première question que le terminologue entreprit de traiter. D'autre part, la nomination terminologique est le principe de base pour n'importe quelle étude terminologique étant donné qu'elle est liée au processus de la naissance du terme, à son développement et à l'observation des fondements, pratiques et logiques, les plus importants qui lui sont liés, et dont l'étude minutieuse est à même de préserver au terme scientifique son processus de formation normal…

Parmi ces fondements, nous citons ce qui est lié au terminologue lui-même, qui forge le terme dans un domaine scientifique donné : la connaissance du concept et la compétence linguistique nécessaire pour la création des néologismes ainsi que le pouvoir créatif imaginaire permettant de connecter le concept et sa nomination. Le rapport entre ces deux éléments fondamentaux du terme (concept et nomination) doit

en effet être bien cerné par le terminologue en vu de converger les efforts pour essayer de faire face à cette anarchie terminologique au sein de notre monde arabe.

المصطلح العلمي هو إحدى الأدوات البحثية التي ما زالت في حاجة إلى مزيد من العناية والتدقيق في العالم العربي، وهو مدخل من مداخل الصعوبات العلمية التي تواجه البحث العلمي، نظرا لما يرتبط باللغة العلمية من أثر عكسي على نتائج الأبحاث إن لم تحقق حقولا مصطلحية موحدة توفر لها مساحة اتفاق على المشترك العلمي.

ولا شك أن التطور في هذا المجال رهين نهضة علمية أوسع، وأن لغة العلم تنهض بشكل أسرع كلما أتيح لها مجال أوسع للاستعمال في شتى التخصصات، وهذا ما له امتداد إلى جذور أكثر عمقا تتجاوز ما هو لغوي إلى ما حضاري تتداخل فيه أوضاع وظروف اجتماعية وسياسية وثقافية أكثر تعقيدا، ولكن كل ما قيل أو يقال بهذا الصدد لا يشفع لتأجيل المسألة المصطلحية، والتفريط في بذل الجهد بهدف الإسهام في الحفاظ على العربية لغة للعلم، والنهوض بإصلاح لغوي يكون للمصطلح العلمي العربي منه نصيب وافر، ولا شك في أن يكون له أثر حضاري حقيق.

وقد غدا اليوم للمصطلح علم يهتم به، ويتتبع مراحل وجوده التي هي أقرب في الشبه إلى أطوار نشوء الإنسان من الولادة إلى القوة فالضعف والوفاة، إذ لكل مرحلة مصطلحية خصائص ومميزات تجعل منها موضوعا للتنظير والتأسيس، ومجالا للاختراع والإبداع في ظل معالجة قضايا مختلفة باختلاف تلك المراحل، ويتم ذلك تحت إطار ما اصطلح عليه بالنظرية العامة لعلم المصطلح.

وعلى أساس ما سبق فالوضع المصطلحي هو أول قضية تستوقف الدارس المهتم بهذا الموضوع، وهي القضية المنطلق والأساس، لأنها تتعلق بولادة المصطلح ونشأته، وبإعطائها حقها من العناية والاهتمام تتحدد هوية المصطلح ويحوز بطاقة اعتراف، ويفتح له مجال للاستعمال والتداول، ويتاح له أفق للانتشار والتطور، فيكون له في الأوساط العلمية قبول حسن، وتكسب به اللغة تماسكها وقوتها وقدرتها على وصف المعلومات والتعبير عنها، ومن ثم يكون أداة طيعة للحوار البنّاء بين العلماء والمبدعين والمخترعين أنفسهم، وبفتح لهم قناة ثانية ليتواصلوا مع جمهور المتلقين بالقدر الذي يضفي على إنتاجهم فرصة واضحة لينال التقدير ويحظى بالتوظيف.

تلك بعض دوافع هذه الأسطر التي تروم التعريف بمرحلة حساسة من حياة المصطلحات في ضوء تصفح عدد من الدراسات المتخصصة، ورصد أهم ما تحدثت عنه من أسس وإجراءات

عملية منطقية دقيقة من شأن الحرص عليها أن يحفظ للمصطلح العلمي نشأة سوية، ويجنب الأبحاث والمشاريع العلمية العربية كثيرا من الزلل الذي يُنقص من قيمتها فيذرها شبه عديمة التأثير الحضاري.

والدراسات المصطلحية الحديثة تستعمل مصطلحات أخرى مرادفة للوضع، ومن ذلك: التوليد والصياغة والصناعة...ومن عناوين المؤلفات المشتملة على أحد هذه المصطلحات:

- آليات **توليد** المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات،[1]
- **صياغة** المصطلح في اللسان العربي،[2]
- المفاهيم والمصطلحات وإعادة **الصياغة**[3]...

ويبدو مصطلح الوضع أقرب من غيره إلى تسمية المفهوم الذي نقصده هنا، انطلاقا من دلالته اللغوية. وقد أفرز تعدد المصطلحات الدالة على هذه العملية مشاكل لدى بعض الدارسين، فكان منهم من يعد التوليد طريقة واحدة من طرق الوضع (أنظر على سبيل المثال: ممدوح خسارة في كتابه "علم المصطلح وطرائق **وضع** المصطلحات في العربية"، دار الفكر، دمشق، ط1، 1429هـ/2008م)، في الوقت الذي يستعمله آخرون مرادفا للوضع...

1- الوضع في اللغة: هو مصدر وَضَعَ الشَّيْءَ يضَعُه[4]، أي خفَضَه وحطَّه، ومنه وَضْعُ المرأة ولدَها[5]، وانطلاقا من هذا المعنى الأخير اصطلح علماء اللغة - مجازا- على تسمية عملية إيجاد لفظ جديد لمعنى جديد وَضْعاً، "كما لو كانت اللغة امرأة ولودا أبناؤها الألفاظ وبناتها الكلمات"[6].

2- الوضع في علم المصطلح: الوضع في علم المصطلح إيجاد مصطلح جديد لمفهوم جديد، ذلك أن المفهوم إذا استوى وجوده واكتمل، حفز اللغة ودفعها إلى بلورة مصطلح مناسب له يسميه ويُعيِّنه. وقد يكون هذا المفهوم موجودا وله مصطلح مستعمل فيعن لمشتغل بالمجال العلمي تغيير ذلك المصطلح بآخر، أو يتدخل لتصحيح ذلك المفهوم لسبب من الأسباب، وكل هذا يعد وضعا، غير أن هذا العمل لا يخلو من مشاكل من أبرزها تعدد الأسماء للشيء الواحد أو العكس...

وإذا كان وضع الكلمات ظاهرة لغوية عامة، تتم بسلاسة من قبل أبناء اللغات المختلفة والمستعملين لها، فإنها تتخذ طابعا آخر، وتتطلب قدرا غير يسير من الدقة والصرامة حين يتعلق الأمر باللغة العلمية، وقد يؤدي الخلل في ذلك إلى صعوبات وعقبات جمة تعترض نجاح الباحثين

والعلماء في التواصل في ما بينهم، فضلا عن الوصول إلى عموم المتلقين بمختلف فئاتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية.

3- مقاييس ومواصفات الوضع في الدراسات المصطلحية الحديثة: أسهب كثير من المصطلحيين في بيان شروط ومواصفات الوضع المصطلحي، وبالرجوع إلى كتاباتهم يمكن تصنيف هذه الشروط والمواصفات إلى قسمين رئيسين:

3-1- مقاييس تتعلق بواضع المصطلح: من البدهي أن المتخصص هو أول من يواجه مشكلة تسمية المفاهيم الجديدة، وهذا ما يجعله في حاجة إلى عدة شروط منها[7]:

_ أن يكون على دراية تامة بالشيء أو المفهوم المراد تسميته؛

_ أن يكون ذا قدرة لغوية ومعرفة بقوانين اللغة ومعجمها وطرق التعبير بها؛

_ أن يملك مخيلة تمكنه من الربط السليم بين العنصرين السابقين.

وفي حالة ما إذا كان المتخصص ضعيف المؤهلات اللغوية التي تمكنه من الوصول إلى المصطلح السليم والمناسب، تلزمه الاستعانة بالمتخصصين في المجال اللغوي، واستشارتهم يقول عز الدين البوشيخي: " إذا حصرنا عنايتنا في المصطلح العلمي العربي، فلا يخلو واضع المصطلح أن يكون:

- إما متمكنا من لغته في مجال اختصاصه.
- أو غير متمكن.

فإذا كان متمكنا وأراد أن يضع مصطلحا لمفهوم استحدثه، فإن بمقدوره أن يفعل ذلك بفضل ملكته اللغوية وطاقته العلمية...أما إذا كان العالم متمكنا في مجال اختصاصه، غير متمكن من لغته العربية، لظروف النشأة والتكوين المعروفة، فإنه في هذه الحالة لا يستطيع وضع المصطلح المناسب لمفهوم موجود أو مستحدث، ولا يستطيع ترجمة المصطلح الأجنبي ولا تعريبه بمراعاة قواعد لغته بسبب ضعف ملكته اللغوية وعدم نضوجها. ويؤول الأمر حينئذ إلى الجهات المختصة في وضع المصطلح وتوليده وترجمته." [8]

ومن شأن الأخذ بهذه العملية أن يجنب المزالق اللغوية التي تقود في كثير من الأحيان إلى إنتاج مصطلحات هجينة ونافرة تسيء إلى اللغة والعلم معا كما هو شأن المصطلح العربي حاليا في مختلف التخصصات العلمية ومجالات الحياة العامة، بسبب التسابق المحموم الذي يخوضه الواضعون متخصصون وغير متخصصين، ذوو إلمام باللغة العربية وجاهلون بها، الكل يعمل على نقل المصطلحات الأجنبية وترجمتها بالطريقة التي تناسب هواه، قبل أن يتلقف الإعلام والجمهور

المتطلعان إلى كل ما يلبس عباءة التجديد والحداثة، فيشيع المصطلح الموضوع بعُجره وبُجره، ويهمّش غيره ممن خضع لشروط المراقبة والصيانة...

وقد يسهل تجاوز المشكلة اللغوية، إذا كانت عملية الوضع قائمة على الجهد الجماعي المؤسس، وتم التقليل من المبادرات الانفرادية[9]، ولهذا وُجدت المجامع والمؤسسات اللغوية، ولكن عملها في العالم العربي ظل بعيدا عن التفعيل والاستثمار، بل "تم عزلها والاستهانة بها مما خلق حالة من عدم الاحترام...فجُهد الأفراد ومن ثمَّ الشارع مثلا يسبق هذه المؤسسات فيتبنى المصطلحات الوافدة كما هي أو يحرفها..."[10]

3-2- مقاييس تتعلق بالمصطلح الموضوع نفسه:

ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يتعلق باللفظ (الدال)، ومنه:

_ أن يكون قصيرا وسهل التلفظ، وشفافا، والأفضل أن يكون شائعا حتى يسهل تداوله؛

_ أن يراعي البناء الصوتي والصرفي للغة الأم، وأن يخضع لضوابطها، فيسهل التعامل معه[11]، ويؤدي وظيفته المطلوبة؛

_ أن يكون قابلا للاشتقاق ما أمكن، فبما يؤهله للنموّ والزيادة.

وأهمية هذه الشروط اللفظية آكد في التخصصات ذات الطبيعة الإنسانية، حيت تكون اللغة مقصودة لذاتها، وكل نشاز مهما كان بسيطا يطفو على سطح الكلمات والجمل والنصوص، ويشوب العملية الإبداعية، ويقف عائقا يمنع بلوغها أعلى المراتب الفنية، ومن تلك التخصصات ما يرتبط بالمجال الأدبي كالنقد مثلا، يقول عبد السلام المسدي: "الأمر في المصطلح النقدي بالغ الدقة إذ هو مما يندرج في تلك المعارف اللغوية، ثم هو في بعض وجوهه مقصودا لذاته أكثر مما يكون الشأن مع مصطلحات أي علم من العلوم الرياضية أو الطبيعية أو التقنية، فاللفظ في هذا الموطن مجرد ممر عارض، أما في النقد فهو أداة تؤدي معنى، وفي نفس الوقت تستوقف بشكلها الصياغي ومظهرها التركيبي." [12]

ب . ما يتعلق بالمعنى (المدلول أو المفهوم) ومنه:

_ أن يكون محددا سلفا وثابتا ودقيقا وواضحا لا لبس فيه ولا غموض.

_ أن يكون جديدا بالقدر الذي يجعله متطلبا لتسمية جديدة.

_ أن تكون له علاقة بالمعنى اللغوي للفظه، وإلا تحول الأمر إلى الاصطلاح بالرمز وهو أمر آخر يختلف عن معنى الوضع المصطلحي الذي نتحدث عنه، ويكفي أن تكون هذه العلاقة جزئية كأن يحمل المصطلح صفة واحدة على الأقل من الصفات المفهومية لمسماه.

ج . ما يوثق علاقة الدال بمدلوله ومنه:

_تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد لتفادي السقوط في المشترك اللفظي[13].

_ تجنب تعدد المصطلحات للدلالة الواحدة، لتفادي السقوط في المترادف[14].

_ الحصول على موافقة المتخصصين في المجال العلمي واللغوي على هذا المصطلح لفظا ومفهوما، لينتقل من طور الاقتراح إلى طور التداول[15].

لا شك أن استحضار هذه الشروط والمعايير، والعمل على تحكيمها وتفعيلها، من شأنه أن يفرز ولادة صحية وسليمة للمصطلح العلمي، تجنّبُه كثيرا من المشاكل والأعراض التي باتت تلازمه في غالب الأحيان، وتجعل منه مشكلة لغوية وحضارية عويصة تستفحل يوما بعد يوم، في غياب الإرادة والتنسيق بين الجهات المسؤولة أفرادا ومؤسسات...

وإن تجاوز هذه المشكلة ليسير لو تخلى المهتمون عن أهوائهم ونزواتهم ومصالحهم الذاتية، وغلّبوا شعورهم الجمعي، وقدموا كبار العلم على صغاره، ووضعوا نصب أعينهم نهضة أمة باتت الفرقة حالها، والتخلف عن ركب العلم مآلها.

هوامش البحث:

---

[1]- خالد اليعبودي؛ دار ما بعد الحداثة، فاس، ط1، 2006.

[2]- عمار ساسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.

[3]- مانويل سيليو كونسيساو، ترجمة محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2012م.

[4]- كتاب العين، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، مادة وضع

[5]- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة، ط1، 1366هـ، مادة وضع.

[6]- علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص355.

[7]– المشكل غير المشكل، قضية المصطلح العلمي، حمزة قبلان المزيني، علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج 8، م 2، 1414هـ/1993م.ص 16.

[8]– واقعية المبادئ الأساس في وضع المصطلح وتوليده، دراسات مصطلحية، ع 1، 1422هـ- 2001م، ص107-108.

[9]– وهذا ما تنص عليه كلمة اصطلاح، فهي تتضمن معنى الاتفاق، قال الشريف الجرجاني: "الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى" معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، ت محمد صديق المنشاوي ، ص 27.

[10]– غياب المصطلح المبدع، سليمان الشطي، المجلة العربية، ع 384،عدد خاص بالمصطلح العربي، س 34، 1430هـ/2009م، ص9.

[11]– المصطلح بين التوليد والنسقية، عبد الرزاق تورابي، ضمن ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد عز الدين البوشيخي ومحمد الوادي، سلسلة الندوات، 12، مكناس، 2000، ص 270 وما بعدها.

[12]– المصطلح النقدي، عبد السلام المسدي، مطبعة كوتيب، تونس، 1994م،ص21.

[13]– مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج ونصوص، الشاهد البوشيخي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م.ص83.

[14]– المصدر نفسه، ص نفسها.

[15]– المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، علي محمد جمعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم والمصطلحات 2، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م.ص 18.